# بسم ا الرحمن الرحيم

# إنسانية النبي صلى ا عليه وسلم في معاملة الأسرى

د٠ عطاا المعايطة – محاضر متفرغ – قسم أصول الدين –كلية الشريعة – الجامعة الأردنية

---

**تمهيد :-**

بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم والعالم تتقاسمه أديان ووثنيات شتى تهيمن فيها قوى الظلم على هذا الإنسان الذي كان بأمس الحاجة إلى بزوغ فجر جديد يريحه من تعسف قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس والأديان المحرفة والوثنيات الظالمة في عقائدها وتصوراتها وشرائعها ومسالك حياتها ولعل جوانب العناء البشري كانت تشمل حياة الإنسان كلها ٠

وكانت صور الظلم والاعتداء على امن هذا الإنسان تتم من خلال الحروب والنزاعات التي تخلو من أخلاقيات تحترم وجود الإنسان وأمنه وخاصة في حقوق الأسرى في الحروب التي كانت الصفة الغالبة لحال البشرية قبل بعثة الهادي البشير عليه الصلاة والسلام ،وسوف أتناول في هذا البحث الموجز صورة الواقع البشري الذي سبق بعثته عليه الصلاة والسلام في الأسرى والمنهجية الحضارية الجديدة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام في رعاية الأسير وحمايته وفدائه وغيرها من الأحكام التي لم تعهدها البشرية من قبل ٠

١- **تعريف الأسير** :- هو الاخيذ والمقيد والمسجون وجمعه أسراء واسارى واسـارى )(١) (وهو المأخوذ بالحرب)(٢)

---

١-الفيروز أبادي –القاموس المحيط ص٤٣٧وانظر الأصفهاني – معجم مفردات القران ص١٢

٢- المعجم الوسيط ج٢ص١٧

**٢-حالة الأسرى في الديانات والدول قبل الإسلام**:-إن إلقاء نظرة موجزة على واقـع الأسير في الملل السابقة للإسلام يبرز الحاجة الماسة التي كانت تنتظرها البشرية ببعثته عليـه الصلاة والسلام ،فان صورة الشقاء الإنساني في الحروب لا يمكـن تـصورها إذا عرضـت مقارنه مع النقلة الحضارية السامقة التي أنارت هذا الوجود ببزوغ فجر الإسلام الذي هـيمن على الأديان والحضارات السابقة

فالأسير عند اليهود ومن خلال نصوص التوراة المحرفة لا وجود له بل هنـاك صـورة بشعة من صور الإبادة الجماعية، ونحن لا نرى هذه الصورة هي من أفعال وأخلاقيـات الأنبياء الكرام الذين بعثهم ا لهداية بني إسرائيل بل هي صورة محرفة أو وقائع لحكامهم الذين ابتعدوا عن الهدي الرباني واتخذوا هذه النصوص ذريعة لجرائمهم قديما وحديثا

ففي سفر التثنية نرى هذه الصورة المفزعة من التعامل مع المخالفين حيث يقـول كاتـب السفر:- ( حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فان أجابتك للصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ،وان لم تسألك الـصلح بـل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحـد السيف------ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا أما مدن هؤلاء الشعوب التـي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها بل تحرمها تحريما (أي تبيدها إبادة)الحثيين والاموريين والكنعانيين)(١)ولما غزو مدينة أريحا اخذوا المدينة وحرموا (أي أبادوا )كـل مـا فـي المدينة

---

١- التوراة – سفر التثنية –الإصحاح ٢٠-فقرة ١٠-١٧

من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف )(١)، ولمـا دخلـوا مدينة عاي(احرقوا المدينة بالنار وضربوها حتى لم يبق منهم شاردا ولا منفلت ،وكـان لمـا انتهى إسرائيل من قتل جميع السكان وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا .فكان جميع الـذين سقطوا في ذلك اليوم من الرجال والنساء اثني عشرا لفا)(٢) أما الرومان الذين سيطروا على المسيحية وأخضعوها لمجامع متعددة لا صلة لها بدعوة السيد المسيح عليه السلام فقد كانوا في حروبهم ابعد ما يكونون عن تعاليم هذا النبي الكريم . فانك لاتكاد تجد في حروبهم أي حـق للأسير أو النساءوالاطفال فهم عرضة للقتل والإبادة والاستعباد كما يقـول ابـن العبـري ت ١٢٨٦م ((عندما افتتح طيطوس مدينة أورشليم قتل فيها ستين ألف نفس وسبى نيفا ومائة ألف نفس ومات فيها من الجوع خلق كثير والباقون تشتتوا في البلاد)) (٣) وعندما ظهر بالقـدس (رجل يقال له ابن الكوكب مدعيا انه يخلص اليهود من العبودية للرومان وجه لـه اذريـانس جيوشا فقتلوه واهلكوا اليهود وخربوا أورشليم غاية الخراب وأمر اذريانس بصرم أذان اليهود الذين تخلفوا )(٤) ((وأمر تيتوس بالقبض على خمسين ألفا من الحيوانات المتوحشة ثم تـرك معها عدة ألاف من الأسرى اليهود داخل سياج واحد في العاب بشعة . كان هناك عشرة ألاف رجل يتصارعون مع إحد عشر الفا من الوحوش الضارية وقال أغسطس في ذكرياته الجميلة كما يرى هو :-انه شاهد مباريات بين ثمانية آلاف جندي مع ٣٥١٠ من الحيوانات المفترسة وكانت هذه المباريات تتم باستخدام أسرى الحروب )) (٥)

أما الفرس عباد النيران فالصورة اشد بشاعة من أندادهم ومعاصريهم من الرومان فقد ذكر ابن الأثير رحمه ا :-(إن سابور بن هرمز لما غزا العرب أمر بعدم الإبقاء على احد منهم

---

١- سفر يشوع – الإصحاح ٦- ٢٠-٢١ ٣- ابن العبري -تاريخ مختصر الدول ص١١٧

٢- يشوع ٨-١٩-٢٩ ٤-المرجع السابق ص١٢١ ٥- المودودي –الجهاد ص١٦٤

فقتل منهم حتى أباد عبدا لقيس وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل وغور مياه العرب وقـصد بكرا وتغلب وسار إلى قرب المدينة فقتل كذلك وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتلهم وقيل انـه أمر بصف الأسرى معا وخرق أكتافهم وربطهم معا ولهذا سمي بذي الأكتاف)(١)

وروى المقريزي عن همجية الفرس في الإبادة والتخريب فقال :-( وفي أيام فوقا ملك الـروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام وقتلوا النصارى اجمعهم واتوا على مصر في طلبهم فقتلوا منهم امة كبيرة ،وسـبوا منهم سببا لا يدخل تحت الحصر وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ثم مضى كسرى بنفسه إلى العراق ثم توجه لغزو قسطنطينية تحت ملك الروم فحاصرها أربـع عشر سنه)(٢)

أما مشركي العرب قبل الإسلام فحالهم في الحروب وبواعثها ونتائجها يبعـث علـى الأسـى والألم فقد(قامت حرب البسوس التي استمرت أربعين عاما بسبب ناقة اسمها سراب(٣)وفـي حرب الاوارة التي كانت بين المنذر ابن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببها إن تغلب لما أخرجت سلمه ابن الحرث عنها التجأ إلى بكر بن وائل فلما صار عند بكـر أذعنـت لـه وحشدت عليه وقالت لايملكنا غيرك فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته فأبو ذلـك فحلـف المنذر ليسيرن إليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قمة جبل اوارة حتى يبلغ الـدم الحـضيض وسار إليهم في جموعه فاقتتلوا قتالا شديدا وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر.وقتل بـشر كثيـر واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة فأمر بهم فذبحوا على جبل اوارة فجعل الدم يجمد.فقيل لـه أبيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض، ولكن لو:

---

١- ابن الأثير- الكامل في التاريخ ج١-ص ٢٢٩ –وابن كثير- البداية والنهاية ج٢-ص١٨١
٢- المقريزي- كتاب المواعظ والاعتبار المعروف بالخطط ج٤ص٤٠٦
٣- ابن الأثير –ج١-ص٣١٣

صببت عليه الماء ففعل فسال الدم إلى الحضيض ،وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار)(١)

٣- **إنسانية النبي** صلى ا عليه وسلم في تعامله مع الأسرى :-

في خضم هذا الواقع الأليم الأليم الذي عرضنا جزئيات بسيطة منه انبثق نور جديد هدفه الأسمى (إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسـلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة )(٢) إن غزوات الرسول صلى ا عليه وسـلم كان طابعها الأسمى هو الحفاظ على الإنسان و الرغبة النبوية في دخول الناس في دين ا ولم تكن هذه الغزوات تهدف إلى القتل والتدمير والإذلال أو النهب والسلب كما هي السمة الغالبة على حروب الأولين والآخرين وإنما اوجد النبي صلى ا عليه وسلم هذا المـنهج الحضاري و والنقلة الجديدة في حياة البشر التي لا يرقى إلى مستواها الأسـمى إلا نبـي مرسل مكلف بتطبيق شريعة ا على هذه البشرية فهوا لرحمة المهداة التي قال عنها ربه جل جلاله في محكم تنزيله(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) الأنبياء (١٠٧)وكل حياتـه صلى ا عليه وسلم مع أصحابه ومع مخالفيه كانت رحمة تسمو فوق الأحقاد والـضغائن والإحن حتى وهو يضرب وجهه الشريف ويسيل الدم منه عليه الصلاة والـسلام يقـول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم )(٣) (وعندما رجع من الطائف وجاء ملك الجبال وقال :-أن شئت أطبقت عليهم الاخشبين قال:- أرجو ا أن يخرج من أصلابهم من يوحد ا )(٤).بهذه الروح الحانية قاتل رسول ا صـلى ا عليـه وسـلم رؤوس الشرك وانتصر عليهم وكان عامة أحواله الصفح والرحمة وهذا ما سنلاحظه في

١- ابن الأثير – ج١-ص٣٣٤

٢- عبارات للقائد ربعي بن عامر قالها أمام رستم – ابن كثير- البداية والنهاية ج٧ص٣٩

٣- ابن هشام السيرة النبوية ج٢-ص٣٠

٤- مسلم -١٧٩١

هذه الوقائع المؤثرة مسيرته صلى ا عليه وسلم وهديه في الأسرى الذي يفيض رحمـة ورغبة في هداية الناس وإسلامهم وليس إراقة دمائهم وإذلالهم .

---

١-عدم ضرب الأسير وإذلاله:- فقد نهى النبي صلى ا عليه وسلم أصـحابه عـن ضرب الأسير الذي قبض عليه قبل غزوة بدر الكبرى( عندما ذهب عليا و الزبيـر وسـعدا رضوان ا عليهم يلتمسون له الخبر ببدر فأصابوا راوية لقريش فيهم اسلم غلام بني الحجاج وأبو يسار غلام بني العاص فاتوا بهما النبي صلى ا عليه وسلم وهو قائم يصلي فـسألوهما فقالوا:- نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما وضربوهما ليخبروهمـا عن أبي سفيان فقالا نحن لأبي سفيان فتركوهما ولما فرغ النبي من صلاته قال :-إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكما تركتموهما صدقا إنهما لقريش اخبراني أين قريش قالا:-هـم وراء الكثيب)(١)

٢-إطعام الأسرى والوصية بهم:-فقد أوصى النبي صلى ا عليه وسلم بالأسـرى خيرا متبعا التوجيه القرآني في قوله تعالى:- (ويطعمون الطعام على حبـه مـسكينا ويتيمـا وأسيرا ،إنما نطعمكم لوجه ا لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)(الإنسان -٨-٩) .وقال عليـه الصلاة والسلام : (استوصوا بالاسارى خيرا )(٢) . وقد طبق هذا الأمر واقعا مـشهودا فقـد روى ابن إسحاق عن نبيه ابن وهب قال( كان أبو عزيز بن عمير بن هاشم اخو مصعب بـن عمير فقال أبو عزيز مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقـال:شـد يديك به ،فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، قال :- وكنت في رهط من الأنصار حين اقبلوا

---

١-- ابن الأثير –الكامل –ج٢ –ص٨٣ ٢- الطبراني – المعجم الصغير رقم ٤٠٩-والمعجم الكبير رقم ٩٧٧- والطبري –تاريخ الأمم والملوك ج٢ص٣٩

بي من بدر ،فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاؤهم خصوني بالخبز(١) ،وأكلوا التمـر لوصـية رسول ا صلى ا عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها ، قال:-فاستحي فأردها على احدهم ، فيردها علي ما يمسها)(٢)

**٣-قبول الشفاعة في الأسرى:-** وهذه الشفاعة ترجع إلـى تقـدير مواقـف سـابقة للأسرى ووقوفهم مع المسلمين في مكة المكرمة . قال:- عبد ا بن مسعود رضي ا عنـه (لما كان يوم بدر وجي بالاسارى ، قال:- رسول ا صلى ا عليه وسلم (ما تقولـون فـي هؤلاء الاسارى، فذكر في الحديث قصة ، فقال:- رسول ا صلى ا عليه وسلم (لا ينفلـتن أحدا منهم إلا بفداء أو ضرب عنق ، قال عبد ا :- فقلت يا رسـول ا :-إلا سـهيل بـن البيضاء، فاني سمعته يذكر الإسلام. قال :-فسكت رسول ا صلى ا عليه وسلم قال:-فمـا رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسـول ا صلى ا عليه وسلم :-الا سهيل بن البيضاء)(٣)وأوصى رسول ا صلى ا عليه وسلم :- بعدم قتل أبا البختري بن هشام لأنه كان اخف القوم على رسول ا صلى ا عليه وسلم وهو بمكة وكان ممن اهتم بنقض الصحيفة)(٤)

**٤- إعطاء حرية الاختيار للأسير وإخلاء سبيله إذا اسلم**

فلم يؤثر أن أسيرا اكره على تغيير معتقده بل كان يترك له الاختيار المطلق في ذلك فعن علي رضي ا عنه ان النبي صلى ا عليه وسلم (اتى بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الأنصار اقتل وانأ اشهد أن لااله إلا ا وان محمد رسول ا ،

---

١- يبدو من النص أن الخبز أهم من التمر لندرته وتوفر التمر ٢- ابن هشام – السيرة ج٢-ص١٨٩

٣- الترمذي –ك السير –باب ما جاء بالمشورة رقم ١٧١٤ ٤- ابن الأثير الكامل ج٢ص٨٩

فأمر به النبي صلى ا عليه وسلم فخلى سبيله ثم قال إن منكم من أكله إلى إيمانه منهم فرات بن حيان )(١) ولقد صدق يقين النبي صلى ا عليه وسلم فيه حيث أصبح من خيار الصحابة المجاهدين وكان يغزو مع النبي صلى ا عليه وسلم وهو الذي سيره النبي صلى ا عليه وسلم إلى ثمامة بن اثال في قتال مسيلمة الكذاب)(٢) ومن شواهد هذا المنهج قصة ثمامة بن اثال – سيد بني حنيفة عندما أسرته خيل المسلمين فجاءوا به أسيرا وربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج الرسول صلى ا عليه وسلم فقال:-(ماذا عندك ياثمامه )فقال:-عندي يامحمد خيرا إن تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول ا صلى ا عليه وسلم حتى عاد إليه السؤال وعاد عليه ثمامة نفس الجواب –ثم جاءه الثالثة فقال:- عليه الصلاة والسلام أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال :- اشهد ان لااله إلا ا واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا محمد وا ما كان على الأرض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الي وا ما كان من دين ابغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي وا ما كان من بلد ابغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي )(٣)

## ٥- المرأة الأسيرة وصور من تكريمها:-

لقد ابرز النبي صلى ا عليه وسلم صورة رائعة من صور صيانة المرأة في الحروب

-----------------------------------------------

١-القرطبي – أحكام القران ج١٨ – ص٤٦-وابن كثير- البداية والنهاية ج٤-ص٥

٢-اسد الغابة- ج١- ص٨٩٣

٣-البخاري ومسلم واللفظ له ١٧٦٤

مغايرة تماما لممارسات الأمم السابقة للإسلام حيث كانت عرضة للاغتصاب والاهانة والاسترقاق ، وهذه الممارسات عادت الى الوجود في حروب العـصر الحـديث فراينـا امتهانها واغتصابها في حروب البوسنة والهرسك والعراق وفلسطين وأفغانستان ، مـا لا يحتاج إلى توثيق . أما الرسول الإنسان عليه الصلاة والسلام , فقد نهى عن الاعتداء على أعراض مخالفيه من المشركين كما هي صورة الحروب السابقة والمعاصرة. فقـد أكـرم ابنة حاتم الطائي واسمها سفانة بنت حاتم عندما رآها في السبي ومـن عليهـا وأعطاهـا العطايا وأمرها باللحاق بأخيها عدي وكان ذلك سببا في عودة عدي بن حاتم مسلما وأصبح له شان في فتوح الإسلام الأول )(١) وأسرت جويرية بنت الحارث بن ضرار ثم تزوجها رسول ا صلى ا عليه وسلم وأطلق المسلون الأسرى كرامة لهذا الزواج التي ارتقـت بسببه جويربة رضي ا عنها الى مستوى امهات المؤمنين رضوان ا عليهم ،

عن عائشة رضي ا عنها قالت ( لما قسم رسول ا صلى ا عليه وسلم سـبايا بنـي المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في سهم لثابت بن قيس بن شماس او لابن عم له فكاتبته على نفسها ، وكانت امراة حلوة ملاحة لايراها احد الا اخذت بنفسه، فاتت رسول ا صلى ا عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة:- فو ا ما هو الا ان رايتهـا على باب حجرتي ، فكرهتها ، وعرفت انه سيرى منها ما رايت فدخلت عليه، فقالت: يـا رسول ا :- انا جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار سيد قومه ، وقد اصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في سهم لثابت بن قيس بن شماس او لابن عمه فكاتبتـه علـى نفسي

-----------------------------------------------

١-ابن الاثير –الكامل ج٢ص١٩٤- اسد الغابة ج١ص١٣٦

فجئتك استعينك على كتابتي . قال:- فهل لك في خير من ذلك قالت :- وما هو يارسـول ا ، اقضي عنك كتابتك وأتزوجك قالت:- نعم يارسول ا قال :- قد فعلت ، قالـت:- وخرج الخبر للناس ان رسول ا صلى ا عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنـة الحـارث. فقال الناس :- أصهار رسول ا صلى ا علي وسلم وارسلو ما بأيديهم ، قالت:- فلقـد اعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما اعلم امرأة كانت أعظـم علـى قومها بركة منها )(١) وتزوج رسول ا صلى ا عليه وسلم صفيه بنت حيي بن اخطب حيث وقعت في السبي في غزوة خيبر في سهم دحية الكلبي رضي ا عنه .(فجاء رجـل الى النبي صلى ا عليه وسلم فقال :- يا نبي ا أعطيت دحية صفية بنت حيـي سـيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك ، قال:- دعوه بها – فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى ا عليه وسلم قال :-خذ جارية من السبي غيرها ، قال:- فاعتقها النبي صلى ا عليـه وسلم وتزوجها )(٢) ورفعها الى مستوى امهات المؤمنين وهي مازالـت قريبـه العهـد باليهودية حيث قالت:- ( وكان رسول ا صلى ا عليه وسلم ابغض الناس الـي قتـل زوجي وأخي وأبي فما زال يعتذر ويقول :- ان أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتـى ذهب ذلك من نفسي )(٣)

ومما يجب العلم به ان هذه السبايا لا يمسها احد اذا كانت متزوجة قبل ان تستبرا الارحام الا اذا كانت بكرا فانها تصبح ملك يمين مالم تعتق بمكاتبة او من عليها ممن وقعت في

١-البخاري-كتاب العتق-باب من ملك من العرب رقيقا – ومسلم في الجهاد(باب جواز الاغارة على الكفار)
٢-البخاري –رقم ٣٦٤ – ومسلم ١٣٦٥
٣-البلاذري – فتوح البلدان – ص ٣٨

سهمه ويشهد لهذا مارواه مسلم في صحيحه عن سلمة بن الاكوع رضي ا عنـه قـال :- غزونا فزارة وعلينا ابو بكر ، امره رسول ا صلى ا عليه وسلم ،فلما كان بيننا وبين الماء ساعة امرنا ابو بكر . فعرسنا ثم شن الغارة ، فورد الماء فقتل من قتل وسبى من سـبى وانظر الى عنق الناس فيهم الذراري ،فخشيت ان يسبقوني الى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما راوا السهم وقفوا وجئت بهم اسوقهم وفيهم امراة من بني فزارة ، عليها قشع من ادم قال:- القشع (١) النطع – معها ابنة لها من احسن العرب ، فقدمنا المدينة وما كشفت لهـا ثوبا ، فلقيني رسول ا صلى ا عليه وسلم في السوق فقال:- يا سلمة هـب لـي المـراة ، فقلت:- يا رسول ا لقد اعجبتني وما كشفت لها ثوبا ، ثم لقيني رسول ا صـلى ا عليـه وسلم من الغد في السوق ، فقال:- يا سلمة هب لي المراة ، ابوك – فقلت :- هي لـك يـا رسول ا ، فوا ما كشفت لها ثوبا ، فبعث بها نبي ا صلى ا عليه وسلم الى رجل مـن اهل مكة ، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا اسروا بمكة )(٢) ولم تكن حروبه صلى ا عليه وسلم مثل حروب هذا العصر تشهد همجية الاعتداء على النساء واغتصابهن ، بل كانت هـذه الممارسة ابعد ما تكون عن مجتمع يقوده رسول ا صلى ا عليه وسلم غايته الطهر والعفة والبعد عن كل ما يمس دينهم وطاعتهم وتقواهم ، فلذلك اباح لهم النبي صلى ا عليه وسـلم في مواطن متعددة زواج المتعة عند الحاجة اليه ثم حرمه النبي صلى ا عليه وسلم تحريمـا قطعيا في اخر غزواته وهي اوطاس .

---

١- القشع- الجلد اليابس

٢- مسلم- كتاب الجهاد- باب التنفيل وفداء المسلمين الاسارى رقم ١٧٥٥

## ٦-اسر الملوك وطريقته عليه الصلاة والسلام في التعامل معهم:-

لم يكن من مقاصد هذا النبي الكريم اذلال ملك او رئيس قبيلة او انتزاع ملك احد او سلب اموالهم او سبي نسائهم . انما كان القصد الاسمى الذي يبدو من مجموع سيرته هو الرغبة الكبرى في اسلام الناس ودخولهم في دين ا طواعية لا كراهية وحبا وقناعة ، وهـذا هو سر استقرار هذا الدين وامتداده في مشارق الارض ومغاربها با لرغم من الاهوال التـي صبت على اتباعه في كل مكان .

وهذه شواهد تدل على هذا المنهج :- حيث بعث النبي صلى ا عليه وسلم خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل فاخذه اسيرا وقدم على رسول ا صلى ا عليه وسلم فاسلم وكتب له ولاهل دومة الجندل كتابا )(١)

ومن شواهد هذا المنهج واصالته في دعوة النبي صلى ا عليه وسلم :- عودة عدي بن حاتم حيث تكلم عن نفسه فقال :- ( كنت ملك طئ اخذ منهم المرباع (٢) وانا نصراني فلما قدمت خيل رسول ا صلى ا عليه وسلم هربت الى الشام من الإسلام وقلت:- أكون عنـد اهـل ديني فبينما أنا بالشام اذ جاءت أختي وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونهـا ، ثـم قالت لي :- أرى أن تلحق محمد سريعا ، فان كان نبيا كان للسابق فضله ، وان كـان ملكـا كنت في عز وأنت أنت قال:- فقدمت على رسول ا صلى ا عليه وسـلم فـسلمت عليـه وعرفته بنفسي فانطلق بي الى بيته فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فـي حاجتها – فقلت :-ما هذا بملك ، ثم دخلت بيته فاجلسني على وسادة وجلس على الارض –

١-- البلاذري- فتوح ١البلدان – ص٧٢ – وابن هشام ج٤ ص١١٣ – والاصابة ج١-ص٢٤٤

٢- المرباع:- ربع الغنيمة يكون لرئيس القوم –لسان العرب ج٧- ص ٤١٣ –تاج العروس ج١- ص ٥٢٠٥ –ا او جزء من الغنيمة ياخذها ا لملك ا لنصر ا ني – لسان ا لعرب ج٥- ص ٩٥

فقلت في نفسي:- ماهذا ملك فقال لي :- يا عدي انك تاخذ المرباع وهو لايحل لك في دينك ، ولعلك انما يمنعك من الاسلام ماترى من حاجتنا وكثرة عيوننا ، وا ليفيض المـال فـيهم حتى لا يوجد من ياخذه ، ووا لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف الا ، ووا لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت ، قال:- فاسـلمت فقد رايت القصور البيض وقد فتحت ، ورايت المراة تخرج الـى البيـت لا تخـاف الا ، ووا لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لايقبله احد )(١)

## ٧-العفو الجماعي عن الاسرى :- وهذا هو المنهج المسيطر على غزواته صلى ا

عليه وسلم – الميل لجانب العفو و المسارعة إلى التئام جروح مخالفيه طمعا فـي اسـلامهم وايمانهم بعيدا عن التمتع العاجل بسباياهم و اموالهم وارضهم .

ومن الشواهد على هذا – ما حدث في غزوة بني المصطلق لما سمع الناس بزواج رسول ا صلى ا عليه وسلم من جويرية بنت الحارث قام الناس برد الاسرى والغنـائم لاصـحابها ، وتبع ذلك اسلام ابيها الحارث بن ضرار وقومه وهذا هو الهدف الاسمى الـذي سـعى اليـه رسول ا صلى ا عليه وسلم. وفي غزوة حنين و الطائف عفا رسول ا صـلى ا عليـه وسلم عن ستة الالاف اسير من النساء والاطفال والرجال فقد روى البخاري عن المسور بـن مخرمة رضي ا عنه قال :- إن رسول ا صلى ا عليه وسلم قام حين جاءه وفد هـوازن مسلمين فسالوه إن يرد اليهم اموالهم وسبيهم فقال :- لهم رسول ا صلى ا عليه وسلم:- ( معي من ترون ، واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين ، اما الـسبي وامـا المال . وقد كنت استانيت بكم ) وكان انظرهم رسول ا صلى ا عليه وسلم بـضع عـشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم إن رسول ا صلى ا عليه وسلم بضع عشرة ليلة

١- ابن الاثير – الكامل- ج٢- ص١٩٥- وانظر سيرة ابن هشام ج٤- ص١٥٤- واسد الغابةج١- ص٣٩٥

حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم إن رسول ا   صلى ا   عليه وسلم غير ر ا د الـيهم إلا احدى الطائفتين قالوا :- فانا نختار سببنا ، فقام رسول ا   صلى ا   عليه وسلم في المـسلمين فاثنى على ا   بما هو اهله ثم قال:- (( اما بعد ، فان اخوانكم قد جاؤنا تـائبين ، وانـي قـد رايت إن ارد اليهم سبيهم . فمن احب منكم إن يطيب ذلك فليفعل ، ومن احب منكم إن يكـون على حظه حتى نعطيه اياه من اول ما يفئ ا   علينا فليفعل)). فقال الناس :- قد طيبنا ذلك يا رسول ا   فقال رسول ا   صلى ا   عليه وسلم :- ((انا لا ندري من اذن في ذلك ممـن لـم ياذن ، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم . ثم رجعوا إلى رسول ا   صـلى ا   عليـه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا . هذا الذي بلغني عن سبي هوازن )) (١) وفـي روايـة لابو داود قال :- عليه الصلاة والسلام ( ردوا عليهم نساءهم وابناءهم )(٢) وفي صورة مـن صور الرحمة و المودة يستعطفون قلب رسول ا   صلى ا   عليه وسلم عليهم فيقولون :- (يا رسول ا   انا اهل وعشيرة وقد اصابنا ما لم يخف عليك فامنن علينا من ا   عليك وقام زهير ابو صرد من بني سعد بن بكر وهم الذين ارضعوا رسول ا   صلى ا   عليه وسلم فقال :- يا رسول ا   انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك )(٣)فقال رسول ا   صلى ا   عليه وسلم :- (ردوا عليهم نسائهم وابنائهم فمن مسك بشئ من هذاالفئ فان له علينا به ست فرائض من اول شئ يفيئه ا   علينا ) (٤) واصبح رئيس هذا السبي الذي حارب

١- صحيح البخاري – كتاب المغازي –باب قوله تعالى ( ويوم حنين ---) رقم الحديث ٤٣١٨-٤٣١٩
٢-سنن ابي داود- كتاب الجهاد – باب فداء الاسرى ح- رقم ٢٦٩٤
٣-ابن الاثير – الكامل- ج٢- ص١٨٢
٤-ابو داود- ا لسنن- حديث رقم ٢٦٩٤

رسول ا عليه وسلم يقاتل في سبيل ا وينافح عنه فقد بعث النبي عليه الصلاة والسلام إلـى مالك بن عوف رئيس هوازن قائلا ( إن اتاني مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيتـه مئـة بعير فاخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سرا ولحق برسول ا صلى ا عليه وسلم فاسـلم وحسن اسلامه واستعمله رسول ا صلى ا عليه وسلم على قومه فاعطاه اهله وماله ومئـة بعير وكان يقاتل بمن اسلم معه من ثمالة وفهم وسلمه وثقيف (١)

٨- فداء الأسرى :- إن هذا المنهج هو سلسلة مترابطة تعبر عن تاسيس حالـة جديـدة تبرز جوانب الرحمة والانسانية فما كان الفداء لقصد مغنم دنيوي ابدا وكان الحادي الاكبر في مقاصده صلى ا عليه وسلم هو استبقاء الرجال حتى يكرمهم ا بالاسلام والايمان .

واول فداء حدث في تاريخ الاسلام كان قبل غزوة بدر الكبرى في سرية عبد ا بن جحـش التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي و اسروا عثمان بن عبد ا والحكـم بـن كيـسان --- وبعثت قريش في فدائهما و قبل رسول ا صلى ا عليه وسلم الفداء فاسلم الحكم بن كيسان ، واما عثمان بن عبد ا فمات بمكة كافرا (٢) ثم حدثت معركة بدر الكبرى التي اسر فيها عدد كبير من المشركين وكان الفداء ومن ضمن تفصيلاته جوانب انسانية عميقة تعبر عن سمو هذا النبي الكريم عن بواعث الانتقام والقتل كما يفعل في الحروب القديمة والحديثة .

وكان في الاسارى ابو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى ا عليه وسلم وكان من اكثر رجال مكة مالا وامانة وتجارة وهو ابن اخت السيدة خديجة رضـي ا عنهـا زوج النبي صلى ا عليه وسلم ، فلما بعثت قريش في فداء الاسارى بعثت زينب في فداء ابي

---

١- ابن الاثير ج٢ص١٨٣

٢-ابن الاثير – الكامل – ج٢ ص٩٣-٩٤

العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها معها فلما راها الرسول صـلى ا عليـه وسلم . رق لها رقة شديدة وقال :- إن رايتم إن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا فاطلقوا لها اسيرها وردوا القلادة )(١)

**الخاتمة :-** هذه صور مشرقة من جوانب انسانيته عليه الصلاة والسلام في تعامله مـع االاسرى ، حيث كان نور الرحمة والمحبة هو الذي ساد ذلك العصر وامتد ذلك الخير في فتوح الخلفاء الراشدين وفتوح دول الاسلام كلها حتى القى الاسلام بجرانـه فـي الارض واصبح مشعل هداية للبشرية ثم لما ضعف المسلمون وغابت عنهم معالم المنهج النبـوي حيث وقعوا فريسة لتناحرهم الداخلي والفـتن القاتلـة وتـسلط علـيهم اعـدائهم وعـاد الشقاءللبشرية من جديد كما نرى ونشاهد في حروب الغزاة الجـدد القـادمين مـن وراء البحار ينشرون القتل والدمار والانحلال الخلقي بكل صوره واشكاله واننا لنامل من خلال الكشفعن هذه الجوانب الانسانية ، اعطاء صورة مضادة لما يعيشه العالم الان لعل امتنـا تنهض من جديد وا الموفق والهادي إلى سواء السبيل

---

١- المرجع السابق ج٢ ص٩٤